جامعة الانبار

كلية التربية للعلوم الإنسانية

القسم العلمي: اللغة العربية

المرحلة الدراسية: الثانية

المادة: الأدب الإسلامي

أغراض شعرية قديمة ومتطورة

– المديح من الأغراض الشعرية القديمة والمتطورة في العصر الإسلامي، وضح ذلك؟

ج: يوجه الرسول (ﷺ)، للشعراء أن تكون أشعارهم غير منافية لمبادئ الدين والأخلاق، فكل ما هو موافق الحق فهو حسن، والمديح عن حياة البدوي وسيلة خيرة إذا أحسن استخدامه لترقيق النفوس وتهذيب وإصلاح ذات البين. فمديح الشاعر غير التكسبي يكون وسيلة لرفع الضغائن والاحقاد ويدخل ضمن هذا مديح زهير لهرم بن سنان. لذلك نجد هذا الغرض مستمرا في عصر صدر الاسلام خارجا عن نطاق المديح الشخصي او التكسبي إلى المديح الذي يجعل من الممدوح إطاراً لقضية عامة وصفاته توكيدا لمبادئ يدعو إليها الممدوح ويحاول الشاعر في تثبيتها وأشهارها، ويدخل في هذا الإطار كل الشعر الذي قيل في مديح الرسول (ﷺ) وذاته قدر ما هو مديح لمكانته ونبوته وتوكيدا للرسالة السماوية التي بعث لنشرها بين الناس، ولهذا أعجب الرسول (ﷺ) بقول الشاعر:

فثبت الله ما أعطاك من حسن تثبيت موسى ونصرا كالذي نصروا

لأنه دعا له في إطار النبوة، وإذا كانت معاني الشعر في المديح قد أصابها التطور مما أضفاه عليها الإسلام من معان جديدة، فان المديح بكونه وسيلة من رسائل التعبير في نفس الشاعر وقبيلته بقي حاملاً هذه الرسالة، إن حفظ الأشعار التي تتغنى بالخلق القويم يقوم النفس ويهذبها فيقول الخليفة عمر (رضي الله عنه) إرووا من الشعر أعفه ومن الحديث أحسنه ومن النسب ما تواصلون عليه وتعرفون به...، والمديح أوسع أغراض الشعر العربي، وفي صدر الإسلام ما عاد مديحا شخصيا زيادة على قيم جديدة هي مما أضفاه الدين

الإسلامي كالتقوى والإيمان الصادق والعدل بين الرعية وأداء الفرائض، فالطفيل بن عمرو الدوسي يقول بعد أن هددته قريش لإسلامه معلنا إيمانه مادحا الرسول (ﷺ):

ألا أبلغ لديك بني لؤي على الشنان والغضب المرد

بأنَّ الله ربُّ الناس فرد تعالى جده عن كل جد

وإنَّ محمداً عبد رسول دليل هدى وموضح كل رشد

نلاحظ كلمة العبد مثلا تحمل دلالة الذل والهوان في عصر ما قبل الإسلام ليطلقها على مديح الرسول(ﷺ)؛ لأنها محلة معاني إنسانية جديدة، ولحسان قصيدة يمدح بها الرسول جامعا فيها الأخلاق التي وردت في أماديح شعراء ما قبل الإسلام مع القيم الإسلامية الجديدة، ومثل هذا التوجه نجده في مدح القبائل والجماعات فكعب بن زهير يمتدح الأنصار بعيدا عن القبيلة فيقول:

الذائدين الناس عن أديانهم بالمشرفي وبالقنا الخطار

والباذلين نفوسهم لنبيهم يوم الهياج وقبة الجبار

يتطهرون كأنه نسك لهم بدماء من علقوا من الكفار

ويستمر هذا الأسلوب في مديح الخلفاء الراشدين، فنجد أبا محجن الثقفي يستقي من القرآن وصفاً لأبي بكر الصديق ليتخذه مادة لمديحه:

وسميت صديقاً وكل مهاجر سواك يسمى بأسمه غير منكر

وهذا حجر بن عدي أحد أصحاب الإمام علي فيدعوا الله أن ينصره؛ لأنه تقي مؤمن وهو مديح إسلامي يمثل بداية المديح السياسي:

يا ربنا سلم لنا عليا

سلم لنا المهذب المهديا

المؤمن المسترشد المرضيا

واجعله هادي امة مهديا

واستمر هذا التوجه في العصر الأموي، ونجد في ديوان الحطيئة قصيدة يمدح بها أبا موسى الأشعري مديحاً إسلامياً مع ما عرف به الحطيئة من بعده عن هذا المعاني . وعندما استقر الحكم على أساس الوراثة في العصر الأموي حاول الشعراء أن يضفوا على ممدوحيهم كل القيم الصالحة في نظر المجتمع المسلم فالفرزدق مثلا يمدح سليمان بن عبد الملك بان الله بعثه عدلا ورحمة للناس كما بعث الله قبل النبي محمد (ﷺ):

جعلت لأهل الأرض أمنا وبرءاً لآثار الجروح الكوالم ورحمة

كما بعث الله النبي محمداً على فترة والناس مثل البهائم

ويبحث جرير عن قيمة إسلامية جديدة ليضفيها على ممدوحيه فيذكر بان همه وغايته أن يطلب رضا الله لذلك تراه يعدل في الرعية ليلقى ثواب الله يوم القيامة:

تطيع الله مجتهدا لترضى وتذكر في رعيتك المعادا

ويرى شوقي ضيف أن شعراء بني أمية حاولوا أن يضفوا على ممدوحيهم فكرة الجبرية وهي أن لا رأي للناس في اختيارهم بل أن خلافتهم جبر وقدر على المسلمين فيقول جرير:

نال الخلافة إذ كانت له قدراً كما أتى ربه موسى

ومن التوجهات الجديدة رفض فكرة تأمل العطاء عن طريق المدح لان الله هو الرزاق فيقول أبو الأسود الدؤلي:

فإن مقادر الرحمن تجري بأرزاق الرجال من السماء

مقدرة بقبض أو ببسط وعجز المرء أسباب البلاء

ويوضح الطرماح هذه الفكرة وهو من شعراء الخوارج مخاطبا الفرزدق حين رآه ينشد مديحا والناس حوله:

أيها المادح العباد ليعطى إن لله ما بأيدي العباد

فا سأل الله ما طلبت إليهم وأرج فضل المقسم العواد

وأن رفض التكسب بالمال؛ لأنه إذلال لنفس صاحبه والدعوة إلى توكيد كون الرزق من الله.